بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ

الرُّوحُ وَغِذَاؤُهَا

٣ يوليو ٢٠٢٦

الْخُطْبَةُ الْمَسْنُونَةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

مِنَ الْحَقَائِقِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَهَا الْإِنْسَانُ عَنْ نَفْسِهِ، أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ- أَيًّا كَانَ- مُرَكَّبٌ مِنْ ثَلَاثَةِ عَنَاصِرَ: مِنَ الْقَفَصِ الْجَسَدِيِّ الَّذِي يُلَازِمُهُ صَبَاحاً وَمَسَاءً، وَمِنَ الْغَرَائِزِ الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ- جَلَّ وَعَلَا- فِي كِيَانِهِ ابْتِلَاءً، وَمِنَ الرُّوحِ الَّتِي هَبَطَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْعَالَمِ الْأَعْلَى- تِلْكَ الرُّوحُ الَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا وَحْيُ اللَّهِ حِينَ يُخَاطِبُ الْمَلَائِكَةَ:

سورة الحجر — آية ٢٩

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾

وَمِنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ- إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ- أَنَّهُ يَسْلُكُ كُلَّ سَبِيلٍ فِي رِعَايَةِ قَفَصِهِ الْجَسَدِيِّ الَّذِي يَرَاهُ صَبَاحاً وَمَسَاءً فِي مِرْآةِ كِيَانِهِ، وَأَنَّهُ يُعْنَى غَايَةَ الْعِنَايَةِ بِالْغَرَائِزِ الْحَيَوَانِيَّةِ الرَّاسِخَةِ فِي كِيَانِهِ. فَلَا يَدَّخِرُ جُهْداً فِي تَقْدِيمِ الْغِذَاءِ اللَّازِمِ لِكِلَيْهِمَا- جَسَدِهِ وَغَرَائِزِهِ الْحَيَوَانِيَّةِ- بَلْ يُتْقِنُ هَذَا التَّزْوِيدَ وَيَسْتَنْفِدُ فِي سَبِيلِهِ كُلَّ طَرِيقٍ.

أَمَّا الرُّوحُ- وَهِيَ الْعُنْصُرُ الْأَوَّلُ وَالْفَاعِلُ الْحَقِيقِيُّ فِي كِيَانِ الْإِنْسَانِ- فَإِنَّ الْإِنْسَانَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، غَافِلٌ عَنْهَا. غَافِلٌ عَنِ احْتِيَاجَاتِ هَذِهِ الرُّوحِ، غَافِلٌ عَنِ الْغِذَاءِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُقَدِّمَهُ لَهَا. بَلْ إِنَّ كَثِيراً مِنْ عُلَمَاءِ هَذَا الْعَصْرِ

إِذَا سَمِعُوا كَلِمَةَ «الرُّوحِ» أَوِ «الرُّوحَانِيَّةِ» اسْتَخَفُّوا بِالْحَدِيثِ عَنْهَا، وَجَادَلُوا فِيهَا، وَحَاوَلُوا إِقْنَاعَ غَيْرِهِمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ لَا يُؤْمِنُ إِلَّا بِمَا تَرَاهُ الْعَيْنُ، وَتَسْمَعُهُ الْأُذُنُ، وَيَشُمُّهُ الْأَنْفُ، أَوْ يَتَذَوَّقُهُ اللِّسَانُ- أَيْ بِالْمَادِّيِّ فَقَطْ. وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ يُنْكِرُونَهُ وَيَعُدُّونَهُ لَا مَعْنَى لَهُ.

غَيْرَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ، يَا إِخْوَةُ، أَنَّ الْعُنْصُرَ الْفَاعِلَ حَقّاً فِي كِيَانِ الْإِنْسَانِ لَيْسَ هَذَا الْقَفَصَ الْجَسَدِيَّ وَلَا تِلْكَ الْغَرَائِزَ الْحَيَوَانِيَّةَ الَّتِي حَدَّثْتُكُمْ عَنْهَا. إِنَّ الْعُنْصُرَ الْفَاعِلَ حَقّاً فِي كِيَانِكَ، يَا ابْنَ آدَمَ، هُوَ هَذِهِ الرُّوحُ: تَنْعَكِسُ فِي خَلَايَا الدِّمَاغِ فَيَنْشَأُ لَكَ مِنْهَا **الْفِكْرُ وَالْوَعْيُ**؛ وَتَتَخَلَّلُ نَسِيجَ الْخَلَايَا فِي كِيَانِكَ فَيَنْشَأُ لَكَ مِنْهَا **الْإِحْسَاسُ**؛ وَتَنْعَكِسُ فِي عَضَلَةِ الْقَلْبِ فَيَنْشَأُ لَكَ مِنْهَا **الشُّعُورُ**- فَتَتَشَكَّلُ الِانْفِعَالَاتُ الدَّافِعَةُ وَالْكَابِحَةُ وَالْمُعَظِّمَةُ.

هَذِهِ هِيَ الرُّوحُ، وَهَذَا هُوَ أَثَرُهَا فِي كِيَانِكَ. فَقُولُوا لِمَنْ يَحْسِبُ الرُّوحَ لَا مَعْنَى لَهَا، فَيُهْمِلُ الْغِذَاءَ الَّذِي تَحْتَاجُهُ هَذِهِ الرُّوحُ: إِذَا خَرَجْتَ صَبَاحاً مِنْ غُرْفَتِكَ إِلَى الشُّرْفَةِ الْمُجَاوِرَةِ، وَأَرْسَلْتَ بَصَرَكَ فِي الْآفَاقِ الْوَاسِعَةِ- مَاذَا تُحِسُّ؟ تُحِسُّ انْتِعَاشاً عَجِيباً، وَكَأَنَّ حَيَاةً جَدِيدَةً سَرَتْ فِي كِيَانِكَ. أَهَذَا الِانْتِعَاشُ أَثَرٌ لِلْقَفَصِ الْجَسَدِيِّ؟ أَهُوَ إِحْسَاسٌ مِنَ الْغَرَائِزِ الْحَيَوَانِيَّةِ؟ كَلَّا- إِنَّهُ انْتِعَاشُ **الرُّوحِ** الْمَحْبُوسَةِ فِي هَذَا الْقَفَصِ الْجَسَدِيِّ. لَقَدْ نَظَرَتْ مِنْ خِلَالِ عَيْنَيْكَ إِلَى هَذِهِ الْآفَاقِ الْوَاسِعَةِ، فَتَذَكَّرَتْ ذَلِكَ الْعَالَمَ الْوَاسِعَ الَّذِي كَانَتْ تَتَحَرَّكُ فِيهِ حُرَّةً، قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهَا أَنْ تُحْبَسَ لِحِينٍ فِي قَفَصِكَ- بَلْ فِي سِجْنِكَ الْجَسَدِيِّ. وَقُولُوا لِمَنْ يَحْسِبُ الرُّوحَ وَحَقَائِقَهَا لَا مَعْنَى لَهَا: مَا الَّذِي يُنْعِشُكَ- بَلْ مَا الَّذِي يُثِيرُكَ- حِينَ تُصْغِي إِلَى أَنْغَامٍ عَذْبَةٍ تَجْعَلُكَ تَحِنُّ إِلَى الْمَجْهُولِ، وَتُوقِظُ فِيكَ شَوْقاً إِلَى مَا لَا تَعْرِفُ؟ أَهُوَ إِحْسَاسٌ مِنَ الْقَفَصِ الْجَسَدِيِّ أَمْ إِحْسَاسٌ مِنَ الْغَرَائِزِ الْحَيَوَانِيَّةِ؟ كَلَّا- إِنَّهُ شَوْقُ الرُّوحِ، غَلَبَهَا الشَّوْقُ حِينَ سَمِعَتْ هَذِهِ الْأَنْغَامَ الْعَذْبَةَ. تَذَكَّرَتْ نِدَاءَ اللَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ- الَّذِي لَا يَزَالُ صَدَاهُ يَتَرَدَّدُ فِي دَاخِلِ كُلِّ رُوحٍ، أَيَّةَ رُوحٍ كَانَتْ. ذَلِكَ الْعَهْدُ الْقَدِيمُ الَّذِي يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُ رَبِّنَا:

سورة الأعراف — آية ١٧٢

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾

نِدَاءٌ قَدِيمٌ مِنْ زَمَنِ الْأَرْوَاحِ الْأُولَى- وَجَّهَهُ اللَّهُ مُبَاشَرَةً إِلَى هَذِهِ الرُّوحِ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَلَا تَزَالُ تُحِسُّ حَنِيناً، وَلَا تَزَالُ تَشْعُرُ بِالشَّوْقِ وَالْحُزْنِ عَلَى هَذَا النِّدَاءِ الرَّبَّانِيِّ- غَيْرَ أَنَّهَا الْيَوْمَ مَحْبُوسَةٌ فِي هَذَا الْقَفَصِ الْجَسَدِيِّ. فَيَا عَجَباً لِمَنْ يَدَّعِي التَّعَامُلَ مَعَ الْعِلْمِ، ثُمَّ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ عَنْ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُسْتَقِرَّةِ فِي كِيَانِهِ- عَنْ تِلْكَ الْحَقِيقَةِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَشْعُرَ بِهَا صَبَاحاً وَمَسَاءً! إِنَّ هَذِهِ الرُّوحَ، يَا إِخْوَةُ، لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْأَرْوَاحِ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِهَا الْبَهَائِمُ. إِنَّهَا سِرٌّ

مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ، أَنْزَلَهُ اللَّهُ- جَلَّ وَعَلَا- لِحِينٍ فِي كِيَانِكَ، يَا ابْنَ آدَمَ، وَيُطْلَبُ مِنْكَ أَنْ تُقَدِّمَ لِهَذِهِ الرُّوحِ غِذَاءَهَا. رَحِمَ اللَّهُ **أَبَا عَلِيٍّ ابْنَ سِينَا**، الَّذِي حِينَ عَبَّرَ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ الْمُنْتَشِرَةِ، افْتَتَحَهَا عَنِ الرُّوحِ بِقَوْلِهِ:

هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرْقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعِ

لَقَدْ أَهْمَلْنَا غِذَاءَ الرُّوحِ، يَا إِخْوَةُ، أَسْوَأَ إِهْمَالٍ- فَهِيَ تُعَانِي فِي هَذَا السِّجْنِ الْجَسَدِيِّ، لَا لِبُعْدِهَا فَقَطْ عَنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ الَّذِي كَانَتْ تَجُولُ فِيهِ حُرَّةً، بَلْ إِنَّهَا الْيَوْمَ غَرِيبَةٌ حَتَّى عَنْ غِذَائِهَا. أَنْتَ تُغَذِّي جَسَدَكَ بِمَا يَشْتَهِيهِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ مَأْلُوفٌ لَدَيْكَ، وَتُغَذِّي غَرَائِزَكَ الْحَيَوَانِيَّةَ بِكُلِّ مَا هُوَ مُتَاحٌ لَكَ. فَأَيْنَ غِذَاءُ الرُّوحِ؟ وَلَعَلَّكَ تَسْأَلُ: مَا غِذَاءُ الرُّوحِ؟ يُمْكِنُكَ أَنْ تَعْرِفَ الْجَوَابَ إِذَا عَرَفْتَ الْعَالَمَ الَّذِي هَبَطَتْ مِنْهُ الرُّوحُ إِلَى جَسَدِكَ. إِنَّهُ الْعَالَمُ الْأَعْلَى- عَالَمُ الْمَلَإِ الْأَعْلَى. وَهِيَ الْيَوْمَ بَعِيدَةٌ عَنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ، وَتَحْتَاجُ مَنْ يُذَكِّرُهَا بِهِ، وَيُحَدِّثُهَا عَنْهُ. إِنَّهُ **ذِكْرُ اللَّهِ** عَزَّ وَجَلَّ. إِنَّهُ كَثْرَةُ الرُّجُوعِ إِلَى كَلَامِ اللَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ- وَتِلَاوَتِهِ صَبَاحاً وَمَسَاءً- بِذَلِكَ تُقَدِّمُ لِلرُّوحِ غِذَاءَهَا، وَأَيَّ غِذَاءٍ! إِنَّهُ كَثْرَةُ ذِكْرِ اللَّهِ- جَلَّ وَعَلَا- تَسْبِيحاً وَحَمْداً وَاسْتِغْفَاراً وَتَهْلِيلاً وَتَوْحِيداً، فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ. هَذَا هُوَ الْغِذَاءُ الَّذِي تَنْتَعِشُ بِهِ الرُّوحُ حَقّاً، **يَا عِبَادَ اللَّهِ**.